

الحمامات الحدائقية في العصر المغولي

دراسة آثارية حضارية في ضوء بعض النماذج المكتشفة حديثاً

دكتور

إبراهيم صبحي السيد غندر

أستاذ تاريخ العمارة الإسلامية المساعد بقسم الآثار الإسلامية

كلية الآثار - جامعة الفيوم - جمهورية مصر العربية

ملخص

برع المغول بشكل كبير في انشاء وتشبيد الحدائق وتزيينها بمختلف الطرق والأساليب ، وبلغوا في ذلك شأواً عظيماً ، وقد ساعدتهم في ذلك عديد من الظروف وكان من أبرزها تواجدهم في بيئات خصبة كثيفة الغابات والأنهار والشلالات ، وكذلك شدة الحرارة وارتفاع نسبة الرطوبة ، وتناول عديد من المؤرخين والرحالة والمصورين هذه الحدائق بالوصف والتحليل وكذلك التصوير الفني و الأدبي ، وقام بدراستها وتصنيفها كذلك الباحثين الكتاب ، ولازالت هذه الحدائق تكشف لنا كل يوم عن الجديد فقد تعرضت على مدى السنين خاصة بعد زوال الامبراطورية المغولية الهندية للإهمال والتخريب والتعدي عليها بمختلف الأساليب وذلك لوجود عديد من الديانات في هذه المناطق وخاصة السيخ والهندوس ، وكذلك لاحتلالها من قبل عديد من القوى الاستعمارية وخاصة بريطانيا ، ولما انتهت الحكومات المحلية التي ألت لها السلطة في تلك المناطق مؤخراً بدأت الاكتشافات الأثرية تتوالى في مختلف نماذج هذه الحدائق ومن ضمن تلك الاكتشافات الحمامات الحدائقية التي تتنوع تخطيطاتها ومساحاتها ومواضعها وتصميماتها الداخلية ومكوناتها المعمارية وعناصرها الزخرفية، إضافة لتنوع واختلاف وظائفها بالطبع عن الحمامات العامة التي ربما تكون قد أنشأت أيضاً من قبل المغول شأنهم في ذلك شأن جميع الدول الإسلامية التي كانت قد اهتمت بهذه النوعية من الحمامات . والحمامات الحدائقية تتعدد نوعياتها بتعدد نوعيات الحدائق الموجودة بها فمنها على سبيل المثال حديقة النزل والحديقة الجنائزية وحدائق البهجة والمسرات والحدائق العامة والحدائق الخصوصية، وقد كانت الغالبية العظمى من تلك النوعيات تجمع فيما بين وحداتها عنصر الحمام الذي ربما ألحق في بعض النماذج بوحدة معمارية أخرى مثل الجوسق أو ما يعرف "باراداري" وربما استخدمت حمامات الحدائق كذلك فقط لأطفال وجواري الامبراطور المغولي دون غيرهم عند زيارتهم الحديقة أو المرور بها، وكذا من الممكن أن يكون حمام الحديقة ملكياً أي حصرياً على الامبراطور فقط دون زوجاته أو الحريم الملكي، وهكذا . وتناقش هذه الورقة البحثية هذه القضية من كافة جوانبها الأثرية والحضارية والمعمارية الفنية الزخرفية ومدى التأثير والتأثر المتبادل فيما بين حضارات الفرس والمغول والعثمانيين في محاولة لإلقاء أضواء جديدة على عظمة العمارة الإسلامية ومدى تفوقها واتقانها في ظل حكم أباطرة المغول مستعيناً في ذلك بكافة الدراسات والأبحاث الحديثة وكذا الحفريات التي طالعت كثيراً منها في مناطق البنجاب ولاهور وكشمير وهي من أكثر المناطق الهندوستانية التي حظيت بعدد لا بأس به من هذه النماذج من الحمامات